أولاً : عيسى عليه السلام في القرآن والسنة

القارئ للقرآن يرى أنه كتاب منصف لكل الأنبياء عليهم السلام ؛ وكيف لا وهو كتاب الله ؛ كما أنهم رسل الله ؟ كما أن المتابع لآيات القرآن وسوره يجد الحديث بكثرة عن عيسى عليه السلام في مئات الآيات ، وعشرات السور .

إن عيسى في القرآن والسنة هو : الرسول ، النبي ، الوجيه ، المبارك ، المؤيد من قبل الله بالكتاب والحكمة والمعجزات والبينات الواضحات ، وروح القدس ، الذي عليه من الله السلام يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً .

وقد كان الحديث عن عيسى في القرآن على هذا النحو :

١- ورد اسمه (عيسى) ٢٥ مرة .

٢- ورد وصفه (المسيح) ١١ مرة .

٣- خَلْقُ عيسى عليه السلام معجزة ربانية : قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران:٥٩).

٤- عيسى عليه السلام آية من آيات الله : قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون:٥٠) .

٥- عيسى عليه السلام نفخة من روح الله : كما قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم:١٢) ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٩١) .

٦- عيسى عليه السلام كلمة الله : قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء:١٧١) .

٧- عيسى عليه السلام روح الله : قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء:١٧١) .

٨- عيسى عليه السلام ليس له أب : قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران:٤٧) .

٩- عيسى عليه السلام رسول من رسل الله : قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الأنعام:٨٥) وقال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ (النساء:١٥٧) . وقال تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (المائدة:٧٥) .

١٠- عيسى عليه السلام رسول من أولي العزم : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ (الأحزاب:٧)، وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ (الشورى:١٣) .

١١- عيسى عليه السلام وجيه في الدنيا والآخرة : قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران:٤٥).

١٢- عيسى عليه السلام عبد لله : قال تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (مريم:٢٩،٣٠) . وقال سبحانه : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء:١٧٢) . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة:٧٢) .

١٣- عيسى عليه السلام عبد مبارك : قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ (مريم:٣٠،٣١) .

١٤- عيسى عليه السلام ليس إلهاً : قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة:١٧) . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة:٣٠) .

١٥- عيسى عليه السلام ليس جزءاً من الله : قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (المائدة:٧٣) .

١٦- عيسى عليه السلام مؤيد من قبل الله : قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (المائدة:١١٠).

١٧- عيسى عليه السلام يكلم الناس في المهد : قال تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

(مريم:٢٩-٣١)

١٨- ولعيسى عليه السلام معجزات أخرى : قال تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (آل:عمران ٤٩) .

١٩- المائدة من أكبر معجزات عيسى عليه السلام : قال تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة:١١٢-١١٥) .

ويمكن إجمال معجزات عيسى عليه السلام التي جاءت في القرآن في الآتي :

- الكلام في المهد .
- إبراء الأكمه .
- إبراء الأبرص .
- إحياء الموتى .
- تصوير الطين ، والنفخ فيه ، فيصبح حياً بإذن الله تعالى .
- الإخبار ببعض المغيبات . بحسب ما أطلعه الله عليه .
- نزول المائدة على قومه من السماء .

٢٠- عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب : قال تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ (النساء:١٥٧) .

٢١- عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء : قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (آل عمران:٥٥) .

٢٢- عيسى عليه السلام سينزل قبل الساعة : قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (الزخرف:٦١) .

وينزل عليه السلام فيحكم بالقرآن ويؤمن بالإسلام ويؤمن به النصارى تابعاً لمحمد ﷺ قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (النساء:١٥٩) .

وقد أخبر النبي ﷺ عن نزوله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها » . ثم يقول أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[1] (النساء:١٥٩) .

وفي رواية عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ليهبطن عيسى ابن مريم حكما عدلا ، وإماما مقسطا ، وليسلكن فجا ، حاجا أو معتمرا ، وليأتين قبري حتى يسلم ، ولأردن عليه». يقول أبو هريرة : أي بني أخي ، إن رأيتموه فقولوا : أبو هريرة يقرئك السلام [2].

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٤٨) عن أبي هريرة .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة ، ووافقه الذهبي (٢/٥٩٥).

٢٣- ابن مريم عليه السلام يقتل الدجال : وأخبر رسول الله ﷺ عن أعظم أعماله وهو قتل المسيح الدجال : فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق ، أو بدابق . فيخرج إليهم جيش من المدينة . من خيار أهل الأرض يومئذ . فإذا تصادفوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا . والله ! لا نخلي بينكم وبين إخواننا . فيقاتلونهم . فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا . ويقتل ثلثهم ، أفضل الشهداء عند الله . ويفتتح الثلث . لا يفتنون أبدا . فيفتتحون قسطنطينية . فبينما هم يقتسمون الغنائم ، قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم . فيخرجون . وذلك باطل . فإذا جاءوا الشام خرج . فبينما هم يعدون للقتال ، يسوون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة . فينزل عيسى ابن مريم ﷺ . فأمهم . فإذا رآه عدو الله ، ذاب كما يذوب الملح في الماء . فلو تركه لانذاب حتى يهلك . ولكن يقتله الله بيده . فيريهم دمه في حربته » .[١]

٢٤- محمد ﷺ أولى الناس بعيسى عليه السلام : قال ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم . في الأولى والآخرة » قالوا : كيف يا رسول الله ؟! قال : « الأنبياء إخوة من علات . وأمهاتهم شتى . ودينهم واحد . فليس بيننا نبي »[٢] .

٢٥- محمد ﷺ يتمنى لقاء عيسى عليه السلام ويوصي أتباعه بالسلام عليه : وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم ﷺ ، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام » .[٣]

وفي رواية قال ﷺ: « من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام ».[٤]

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٧) عن أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣) مسلم في الفضائل (٢٣٦٥) عن أبي هريرة .

(٣) رواه أحمد (٧٩٧٠،٧٩٧١) عن أبي هريرة وقال محققو المسند : إسناده صحيح على شرطهما ، واختلف في وقفه ورفعه . وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً ورجالهما رجال الصحيح (٨/٢٠٥) .

(٤) رواه الحاكم (٤/٥٤٥) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٠٨).

ثانيًا : مريم في القرآن والسنة

وكما أعلى الإسلام من منزلة عيسى عليه السلام ، فقد أعلى كذلك من منزلة أمه مريم عليها السلام ، والمتأمل للقرآن الكريم يلحظ الآتي :

١- **ليس في القرآن سورة باسم امرأة سوى سورة مريم** : لا أم نبي ، ولا زوجة نبي ، ولا ابنة نبي سوى مريم عليها السلام .

٢- **لم يذكر في القرآن اسم امرأة صراحة سوى مريم عليها السلام** : لا آمنة أمه ، ولا خديجة زوجه ، ولا عائشة حبه ، ولا فاطمة ابنته .

٣- **ذكرت مريم في القرآن ٣٤ مرة** [(١)].

٤- **مريم مكفولة من قبل الله** : قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤) .

٥- **مريم مصطفاة** : مرة لإنجاب عيسى ومرة على نساء العالمين . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٢) .

٦- **مريم عفيفة حصان** : قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم: ١٢)

٧- **مريم مطهرة من كل عيب** : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٢) .

٨- **مريم آية من آيات الله** : قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٥٠) .

---

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن صـ ٦٦٤ ط دار إحياء التراث العربي .

٩- مريم من أفضل نساء العالمين : قال ﷺ : « حسبك من نساء العالمين : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون » .[١]

وفي رواية أخرى قال ﷺ : « خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون »[٢] .

١٠- مريم من أفضل نساء أهل الجنة : قال ﷺ : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون »[٣] .

وفي رواية عن ابن عباس قال : قال ﷺ : « سيدات نساء أهل الجنة : مريم بنت عمران ، ثم فاطمة بنت محمد ، ثم خديجة ، ثم آسية امرأة فرعون »[٤] .

وفي رواية عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بحسبك من نساء العالمين أربع : فاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم »[٥] .

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٨٨) وذكره الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٥٣).

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٠) عن علي .

(٣) رواه أحمد عن أبي هريرة (٢٦٦٨) وقال محققو المسند : إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى (٢٧٢٢) والحاكم (١٨٥/٣) و ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٠٨).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٤٥/١١) والحاكم في المستدرك (٢٠٥/٣) وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو متروك (٢٢٣/٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٢٤) .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٢٥٤/٧) . وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه سليمان الشاذكوني وهو ضعيف (٢١٨/٩) .

١١- **مريم سيدة كاملة** : قال ﷺ : «كَمُلَ من الرجال كثير ، ولم يَكْمُل من النساء إلا : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[١] .

١٢- **مريم لم يمسها الشيطان** : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد ، غير عيسى ابن مريم ، ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[٢].

وفي رواية : «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها»[٣] .

وفي رواية :«كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه . إلا مريم وابنها»[٤].

١٣- **مريم نذر مقبول** : قال تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ (آل عمران:٣٧) .

١٤- **مريم يأتيها رزقها رغداً في كل وقت وآن** : قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران:٣٧) .

١٥- **مريم مؤيدة بالمعجزات** : قال تعالى : ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾

(مريم:٢٤،٢٥)

---

(١) متفق عليه . رواه البخاري في الأطعمة (٥٤١٨) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣١) عن أبي موسى .

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٨٦) عن أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٣١) عن أبي هريرة .

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٦) عن أبي هريرة .

١٦- مريم منعم عليها من قبل الله : قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(المائدة: ١١٠).

١٧- مريم مصدقة بكلمات ربها وكتبه : قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾

(التحريم: ١٢)

١٨- مريم من القانتين : قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾

(التحريم: ١٢)

١٩- ويكفي أن تقرأ هذا المقطع من سورة مريم لتدرك قيمة مريم عندنا - نحن المسلمين - قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن

تَحْتَهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ
عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى
نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا
يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ
إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ
قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (مريم:١٦-٣٤)

* * *

ثالثاً : حديث القرآن والسنة عن النصارى

(إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة [1]) كلمة صادقة قالها النجاشي يوم أن تليت عليه آيات من كتاب الله ، وهذه هي العلاقة بين الإسلام والنصرانية ، وأعني بالنصرانية تلك التي جاءت من عند الله ، لا التي كتبها القساوسة والرهبان أو تلك التي زيفها الأباطرة وذوي السلطان ، وقد جاءت لفظة النصارى في القرآن (١٤) مرة ، ونادى القرآن النصارى مع إخوانهم من اليهود بلفظة جامعة بينهم ، وهي أهل الكتاب وقد وردت في القرآن الكريم ٣١ مرة ، وخصّهم في الوصف بكتاب عيسى عليه السلام مرة واحدة حين قال : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾[2](المائدة:٤٧).

وكان للنصارى وإخوانهم من اليهود أسلوب خاص تميز به القرآن الكريم في معاملتهم ؛ ويرجع السبب في ذلك كونهم أهل كتاب ، ولهذا أمر القرآن بالحسنى عند مجادلتهم قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٦) .

وقد اعترف القرآن برسالتهم ، وذكرهم بنعم الله عليهم قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة:٤٠،٤١) .

---

(١) رواه أحمد عن أم سلمة وسبق تخريجه .

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مرجع سابق .

كما أن القرآن عند حديثه عن أهل الكتاب وفسادهم لم يعمم ، وإنما أنصف المعتدلين منهم ، قال تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(آل عمران:١١٣،١١٤)

ولقد حفلت السنة المباركة بالحديث عن النصارى ضمن حديثها عن أهل الكتاب جملة ، والقارئ حديث رسول الله ﷺ يجد جملة رائعة من الأحاديث التي توصي بهم ، ومن ذلك :

١- قوله ﷺ : «ألا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة»[(١)].

٢- ورُوي عنه قوله ﷺ : «من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[(٢)] .

٣- وقال ﷺ : «من قتل معاهداً لم يَرَح ريح الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»[(٣)].

ولقد حفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة للنصارى من الحقوق ما لم تتوفر لهم عند اختلاف طوائفهم ، أو تعدد مذاهبهم ؛ ومن هذه الحقوق :

١- الحماية من الاعتداء الخارجي : ولعله لا أروع مما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حين كلم «قطلوشاه» التتري في إطلاق الأسرى فسمح له

---

(١) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (٣٠٥٢) عن عدّة من أبناء الصحابة وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٢٦) .

(٢) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٣٨٠/٨) عن ابن مسعود ، وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٣١٤) .

(٣) رواه البخاري في الجزية والموادعة رقم (٣١٦٦) عن عبد الله بن عمرو .

القائد التتري بإطلاق أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة ، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال : لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ، ولا ندع أسيراً لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة ، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له[1] .

٢- **الحماية من الظلم الداخلي** : وهذه الحماية الداخلية تشمل لهم ما يلي :

- حماية الدماء والأبدان .
- حماية الأعراض .
- حماية الأموال .
- حرية التدين .
- حرية العمل والكسب .
- تولي الوظائف[2].

* * *

(١) انظر : شرح السير الكبير طبعة الجامعة جـ١ صـ ١٠٨ .

(٢) انظر : غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د : يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة ط الرابعة ١٩٨٥ صـ ٩-٢٠ باختصار شديد .

رابعاً : من الأحكام المتعلقة بالنصارى في شريعة الإسلام

وقد كان من سماحة الإسلام مع النصارى ـ وكذلك اليهود ـ أن جعل لهم أحكاماً خاصة ، حتى وإن اختلفوا معنا في الدين ، ومن هذه الأحكام أذكر الآتي :

١ – الزواج بالنصرانية ـــ وكذلك باليهودية ـــ :

لقد شرع الإسلام للمسلم أن ينكح نساء أهل الكتاب ودخل ذلك في دائرة المباح قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة:٥) .

قال القرطبي في هذه الآية : واختلف العلماء في تأويل هذه الآية ، فقالت طائفة حرم الله نكاح المشركات في سورة البقرة ، ثم نسخ في هذه الجملة نساء أهل الكتاب فأحلهن في سورة المائدة ، وروي هذا القول عن ابن عباس ، وبه قال مالك بن أنس وسفيان بن سعيد الثورى وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى .

وقال قتادة وسعيد بن جبير : لفظ الآية العموم في كل كافرة ، والمراد بها الخصوص في الكتابيات ، وبينت الخصوص آية المائدة ولم يتناول العموم قط الكتابيات ، وهذا أحد قولي الشافعي[١].

وقال ابن كثير : هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان ، ثم إن كان عمومها مرادا وأنه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية ، فقد خص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾(المائدة:٥) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله :

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي دار الشعب الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ جـ٣ صـ٦٦.

﴿ وَلَا تَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ (البقرة:٢٢١) ، استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب ، وهكذا قال مجاهد ؛ وعكرمة ؛ وسعيد بن جبير ؛ ومكحول ؛ والحسن والضحاك ؛ وزيد بن أسلم ؛ والربيع بن أنس .... وغيرهم .

ثم قال رحمه الله : وقد نكح طلحة بن عبد الله يهودية ، ونكح حذيفة ابن اليمان نصرانية ، فغضب عمر بن الخطاب غضبا شديدا ، حتى هم أن يسطو عليهما ، فقالا : نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب ، فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ولكني أنتزعهن منكم صغرة قمأة . قال ابن كثير : قال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله بعد حكايته الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات : وإنما كره عمر ذلك ـ أي نكاح الكتابية ـ لئلا يزهد الناس في المسلمات ، أو لغير ذلك من المعاني .

وروى ابن كثير قال : تزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر خل سبيلها . فكتب إليه : أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها ؟ فقال : لا أزعم أنها حرام ، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن .[1]

وجمهور العلماء على جواز[2] الزواج من النصرانية ـ وكذلك اليهودية ـ وإن كان ابن عمر يرى بكراهة ذلك ، وقد روي هذا أيضاً ـ أي الكراهة ـ عن الإمام

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم / ابن كثير / ط دار الفكر ١٤٠١ هـ / جـ١ / صـ ٢٥٨.

(٢) هذا الحكم ليس مطلقا، وليس معنى ذلك أنه يحق زواج أي كتابية (يهودية أو نصرانية) وإنما يشترط فيها أمران :

١-أن يدفع لها مهرها.

٢ ـ أن تكون محصنة أي عفيفة . قال صاحب الظلال : وشرط حل المحصنات الكتابيات ، هو شرط حل المحصنات المؤمنات :﴿ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ (المائدة:٥). ذلك أن تؤدى المهور ، بقصد النكاح الشرعي، الذي يحصن به الرجل امرأته ويصونها ، لا أن يكون هذا المال طريقا إلى السفاح أو المخادنة . . والسفاح هو أن تكون المرأة لأي رجل ؛ والمخادنة أن تكون المرأة لخدين خاص بغير زواج . . وهذا وذلك كانا معروفين في الجاهلية العربية، ومعترفا بهما من المجتمع الجاهلي . قبل أن يطهره الإسلام ، ويزكيه ، ويرفعه من السفح الهابط إلى القمة السامقة . انظر: في ظلال القرآن : سيد قطب ط دار الشروق الطبعة التاسعة ١٩٨٠م جـ٢ صـ٨٤٨ . وقال الشيخ الغزالي: الحق أننا يجب أن نراجع قضية الزواج بالكتابيات ، هل هن كتابيات حقا؟ وإذا كن كما يزعمن فهل هن محصنات حقا ؟ هل البيئة التي تجعل الاتصال الجنسي حقا مقررا للجسد لا دخل للدين ولا للخلق فيه يمكن أن يوثق بها ، وتختار الزوجة من فتياتها ؟ انظر : الحق المر محمد الغزالي دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٨٩م صـ ٣٦ .

مالك [1] ، ورأي الجمهور أقوى حجة ، وأظهر دليلاً . قال السرخسي رحمه الله : ولا بأس أن يتزوج المسلم الحرة ، من أهل الكتاب لقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (المائدة:٥) . [2]

وقال علاء الدين الكاساني رحمه الله : « ويجوز أن ينكح الكتابية لقوله عز وجل : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (المائدة:٥) » [3].

وقال في تنوير الأبصار : « وصح نكاح كتابية » ، وقال شارحه في الدر المختار : « وإن كره تنزيها » [4].

وقد استدل الجمهور لما ذهبوا إليه من الجواز بالكتاب والأثر والمعقول :

أما الكتاب ، فقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (المائدة:٥) كما مضى ، ورأوا أن هذه الآية ـ وهي آية المائدة ـ إما مخصصة لعموم قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ (البقرة:٢٢١) ، وإما ناسخة لها ، لأن نزول سورة المائدة متأخر عن نزول سورة البقرة ، وإما أن لفظ المشركين لا يتناول أهل الكتاب [5].

---

(١) انظر: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د : عبد الكريم زيدان ص٣٤١ ط الثانية ١٩٧٦م .

(٢) انظر : المبسوط السرخسي دار إحياء التراث العربي بيروت ط الأولى ٢٠٠٢ م جـ٥ / ٢٠٥.

(٣) انظر : بدائع الصنائع الكاساني دار الكتاب العربي لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٤م .

(٤) انظر : حاشية رد المحتار ط دار إحياء التراث العربي بيروت بدون جـ٢ صـ٢٨٩.

(٥) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن ابن جرير ط دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ جـ٢ صـ٣٧٦، وانظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي مرجع سابق جـ ٣ صـ ٦٦، وانظر: المغني ابن قدامة طبعة هجر الأولى ١٩٧٩م جـ٧صـ٥٤٧، ومجموع الفتاوى ابن تيمية جـ١٤ صـ٩١. انظر : أحكام أهل الذمة ابن القيم مرجع سابق جـ٢ صـ٤٢١ دار العلم للملايين ط الأولى ١٩٦١م .

وأما الأثر فما ورد في نكاح الصحابة الكتابيات من اليهوديات والنصرانيات ، منهم طلحة بن عبيد الله ، وحذيفة بن اليمان ، وعثمان بن عفان ، ﷺ [1].

الحكمة من إباحة الزواج من الكتابية :

والحكمة من إباحة الزواج من الكتابية بيَّنها الكاساني رحمه الله في « بدائع الصنائع » فقال : يجوز نكاح الكتابية لرجاء إسلامها ، لأنها آمنت بكتب الأنبياء والرسل في الجملة ، وإنما نقضت الجملة بالتفصيل ، بناء على أنها أخبرت عن الأمر على خلاف حقيقته . فالظاهر أنها متى نبهت على حقيقة الأمر تنبهت ، وتأتي بالإيمان على التفصيل ، على حسب ما كانت أتت به في الجملة ، وهذا هو الظاهر من حال التي بُنِيَ أمرها على الدليل دون الهوى والطبع ، والزوج يدعوها إلى الإسلام وينبهها على حقيقة الأمر ، فكان في نكاح المسلم إياها رجاء إسلامها ، فيجوز نكاحها لهذه العاقبة الحميدة ، بخلاف المشركة ، فإنها في اختيارها الشرك ما ثبت أمرها على الحجة ، بل على التقليد بوجود الآباء على ذلك ... »[2]

وقال في حاشية المنهاج للنووي : « وقد يقال باستحباب نكاحها ، إذا رجي إسلامها ، وقد روي أن عثمان ﷺ تزوج نصرانية فأسلمت وحسن إسلامها ، وقد ذكر القفال أن الحكمة في إباحة الكتابية ما يرجى من ميلها إلى دين زوجها ، إذ الغالب على النساء الميل إلى أزواجهن وإيثارهم على الآباء والأمهات ، ولهذا حرمت المسلمة على المشرك »[3] .

وللشيخ محمد عبده كلام رائع في هذا حيث يقول رحمه الله : لقد أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية ـ نصرانية كانت أو يهودية ـ وجعل من حقوق

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن جـ٢/ ٣٧٦ ، وانظر : أحكام القرآن الجصاص جـ٢ صـ٣٢٧ دار الكتاب العربي بيروت بدون .

(٢) انظر : بدائع الصنائع مرجع سابق جـ٢ صـ٢٧٠.

(٣) انظر : المنهاج مع الحاشية محمد بن أحمد الشربيني الخطيب دار الكتب العلمية جـ٣ صـ١٨٧.

الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها ، والقيام بفروض عبادتها ، والذهاب إلى كنيستها أو بيعتها ، وهي منه بمنزلة البعض من الكل ، وألزم له من الظل ، وصاحبته في العز والذل ، والترحال والحل ، بهجة قلبه ، وريحانة نفسه ، وأميرة بيته ، وأم بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه .

ولم يفرق الدين في حقوق الزوجية ، بين الزوجة المسلمة ، والزوجة الكتابية . ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١). فلها حظها من المودة ، ونصيبها من الرحمة ، وهي كما هي . وهو يسكن إليها كما تسكن إليه ، وهو لباس لها كما أنها لباس له .

أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة؟ وما يكون بين الفريقين ؛ من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر ؟ وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوالهم وذوي القربى لوالدتهم .

أيغيب عنك ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذي لم يعهد عند من سبق ، ولا فيمن لحق من أهل الدينين السابقين عليه؟ ولا يخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة الدين مما يعوِّد القلوب الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربه ، والعقيدة طور من أطوار القلوب ؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب ، فهو الذي يحاسب عليها ، وأما المخلوق فلا تطول يده إليها ، وغاية ما يكون من العارف بالحق : أن ينبه الجاهل ، وينصح الغاوي ، ويرشد الضال . لا يكفر بذلك نعمة العشير ، ولا يسلك به سالك التعسير ، ولا يقطع أمل النصير ، ولا يخالف سنة الوفاء ، ولا يحيد عن شرائع الصدق في الوفاء[1].

---

(١) انظر : الإسلام والنصرانية مع المدنية والعلم / الشيخ : محمد عبده دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٩٨٨م صـ٨٨ - ٩٠.

ويقول الشيخ سيد سابق : وإنما أباح الإسلام الزواج منهن ليزيل الحواجز بين أهل الكتاب وبين الإسلام ، وهو أسلوب من أساليب التقريب العملي بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب ، ودعاية للهدى ودين الحق .[1]

وأختم بكلام رائع للأستاذ سيد قطب حيث يقول : إن الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم ـ أهل الكتاب ـ حريتهم الدينية ؛ ثم يعتزلهم ، فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوين معزولين ـ أو منبوذين ـ إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية ، والمودة ، والمجاملة ، والخلطة . فيجعل طعامهم حلا للمسلمين وطعام المسلمين حلا لهم كذلك . ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة ، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة . . وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم ـ وهن المحصنات بمعنى العفيفات الحرائر – طيبات للمسلمين ، ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات . وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات والنحل . فإن الكاثوليكي المسيحي ليتحرج من نكاح الأرثوذكسية ، أو البروتستانتية ، أو المارونية المسيحية . ولا يقدم على ذلك إلا المتحللون عندهم من العقيدة .

وهكذا يبدو أن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي ، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية ؛ ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة ، التي تظلها راية المجتمع الإسلامي . فيما يختص بالعشرة والسلوك (أما الولاء والنصرة فلها حكم آخر)[2].

من تزوج من الصحابة بالنصرانيات :

ومن الصحابة من أخذ بهذا الحكم وتزوج من النصارى ومنهم : الخليفة الثالث الحيي الكريم ذو النورين عثمان بن عفان ، فقد تزوج ﷺ بعد وفاة بنتي

---

(١) انظر : فقه السنة سيد سابق ط دار الفكر ط ١٩٩٢م جـ٢ صـ٩٠ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن سيد قطب مرجع سابق جـ٢ صـ٨٤٨ .

رسول الله من نائلة بنت الفرافصة الكلبية . قال ابن كثير : وقد كانت نصرانية وأسلمت بعد زواجها ، وكانت نائلة نعم المرأة لزوجها[1].

كما تزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية . قال ابن القيم في كتابه «أحكام أهل الذمة» : والمقصود أن الله سبحانه أباح لنا المحصنات من أهل الكتاب ، وفعله أصحاب نبينا ﷺ فتزوج عثمان نصرانية ، وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية ، وتزوج حذيفة يهودية[2].

وقيل إن معاوية رضي الله عنه كانت زوجه ميسون بنت بحدل الكلبية كانت نصرانية ، وقد ولدت له يزيد ، وأمة رب المشارق ؛ وماتت صغيرة .

٢- النصارى ينفق عليهم من الصدقات :

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز إخراج زكاة الأموال ، قال السرخسي في المبسوط : إن زفر صاحب أبي حنيفة يجيز إعطاء الزكاة للذمي .

وقد رجّح القرضاوي عدم إعطاء أهل الذمة من الزكاة الواجبة ثم قال : ولكن لا مانع من إعطاء الذمي الفقير من الزكاة ، واشترط الشيخ شرطين وهما :

١- أن يكون في الأموال سعة .

٢- وألا يكون في إعطاءه إضرار بفقراء المسلمين .

ثم قال : وحسبنا عموم الآية وفعل عمر ، وأقوال من ذكرنا من الفقهاء . وهذه قمة من التسامح لم يرتفع إليها دين من قبل[3].

---

(١) انظر : البداية والنهاية ابن كثير ط مكتبة المعارف بيروت جـ٧ صـ١٥٣ .

(٢) انظر : أحكام أهل الذمة ابن القيم جـ٢ صـ٤٢١ ط دار العلم للملايين الأولى ١٩٦١م .

(٣) انظر : فقه الزكاة د : يوسف القرضاوي جـ٢ صـ٧٥٢ مكتبة وهبة ط الحادية والعشرون ١٩٩٤م .

ثم أكد القرضاوي : أن من منع الذمي من سهم الفقراء فإنه لم يمنعه من سهم المؤلفة قلوبهم يقول الشيخ : وهذا إذا كان يعطى باسم الفقر والحاجة ، أما إذا أعطي تأليفاً لقلبه ، وتحبيباً للإسلام إليه ، أو ترغيباً له في نصرته ، والولاء لأمته ولدولته ، فقد رجحنا بالأدلة الناصعة من كتاب الله وسنة رسوله جواز ذلك ، وبقاء هذا السهم إلى ما شاء الله ، وإن كنا اخترنا أن التأليف وإعطاء المؤلفة قلوبهم : إنما هو من شأن الحكومة الإسلامية لا من شأن الأفراد ، ويمكن أن تقوم الجمعيات الإسلامية في ذلك مقام الحكومات[1].

ثم أكد القرضاوي على أمر آخر وهو عدم إهمال الذمي حتى يموت جوعاً فقال : ولا بد من أن أنبه هنا على أن رأي من قالوا بعدم إعطاء الذمي من الزكاة ؛ ليس معناه تركه للجوع والعري . كلا . بل يُعان من موارد بيت المال الأخرى ، كالفيء وخمس الغنائم والمعادن والخراج وغيرها . وقد ذكر أبو عبيد في «الأموال» كتاب عمر بن عبد العزيز لعامله على البصرة وفيه : (وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه ، وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجْرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه . . .) ومعنى «فأجْرِ عليه» : اجعل له شيئاً جارياً ، وراتباً دورياً ، والجميل حقاً أنه لم يدع أهل الذمة حتى يطلبوا هم المعونة ؛ بل طلب الخليفة من الوالي أن يبادر هو فينظر في حالاتهم ومطالبهم فيسدها من بيت المال . وهذا هو عدل الإسلام[2].

وأما زكاة الفطر فقد قال أبو حنيفة بجواز إخراجها لفقراء أهل الذمة ، وإن خالف الجمهور في ذلك . قال القرضاوي : وسبب اختلافهم : هل سبب جوازها هو الفقر فقط؟ أو الفقر والإسلام معاً ؟ فمن قال : الفقر والإسلام لم يجزها للذميين . ومن قال : الفقر فقط أجازها لهم . واشترط قوم في أهل الذمة الذين تجوز لهم أن يكونوا رهباناً .

---

(١) انظر : فقه الزكاة مرجع سابق جـ٢ صـ٧٥٣.

(٢) انظر : المرجع السابق جـ٢ صـ٧٥٣، ٧٥٤.

روى ابن أبي شيبة عن أبي ميسرة : أنه كان يعطي الرهبان صدقة الفطر ، وعن عمرو بن ميمون ، وعمرو بن شرحبيل ، ومرة الهمداني : أنهم كانوا يعطون منها الرهبان .

وهي لفتة إنسانية تُنبئ عن روح الإسلام السمح ، الذي لا ينهى عن البر بمخالفيه ، الذين لم يقاتلوا أهله ويعادوهم ، فلا غرو أن تشمل مسرة العيد كل من يعيش في كنف المسلمين ، ولو كان من الكفار في نظره . على أن هذا إنما يكون بعد أن يستغني فقراء المسلمين أولاً [1].

٣- أماكن العبادة تُصان وتُحمى :

ومن أروع ما جاء به الإسلام : حمايته لدور العبادة ، حتى وإن كانت الدور غير المساجد ، كالبيع والصلوات والكنائس ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠).

قال العلامة ابن القيم في كتابه «أحكام أهل الذمة» في تفسيره لهذه الآية : قال الحسن : « يدفع عن مصليات أهل الذمة بالمؤمنين».

وعلى هذا القول لا يحتاج إلى التقدير الذي قدَّره أصحاب القول الأول ؛ وهذا ظاهر اللفظ ، ولا إشكال فيه بوجه : فإن الآية دلت على الواقع ، لم تدل على كون الأمكنة ـ غير المساجد ـ محبوبة مرضيةَ له .

لكنه أخبر أنه لولا دفعه الناس بعضهم ببعض لهدمت هذه الأمكنة التي كانت محبوبة له قبل الإسلام ، وأقر منها ما أقر بعده وإن كانت مسخوطة له ، كما أقرّ أهل الذمة ، وإن كان يبغضهم ويمقتهم ، ويدفع عنهم بالمسلمين مع بغضه لهم ،

---

(١) انظر : فقه الزكاة مرجع سابق جـ٢ صـ١٠١١ ، ١٠١٢.

وهكذا يدفع عن مواضع متعبداتهم بالمسلمين ، وإن كان يبغضها ، وهو سبحانه يدفع عن متعبداتهم التي أُقِروا عليها شرعاً وقدراً : فهو يحب الدفع عنها وإن كان يبغضها كما يحب الدفع عن أربابها وإن كان يبغضهم .

وهذا القول هو الراجح إن شاء الله تعالى ، وهو مذهب ابن عباس في الآية .

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : عن ابن عباس ﷺ (لهدمت صوامعُ وبيع) قال : الصوامع التي يكون فيها الرهبان ، والبيع مساجد اليهود والصلوات كنائس النصارى ، والمساجد مساجد المسلمين .

قال ابن أبي حاتم : عن أبي العالية قال : «لهدمَتْ صَوَامع» قال : صوامع وإن كان يشرك به ! وفي لفظ : إن اللّه يحب أن يذكر ولو من كافر![1]

* * *

(١) انظر : أحكام أهل الذمة ابن القيم مرجع سابق جـ٢ صـ٦٦٧،٦٦٨.

خامساً : المسلمون في الحبشة

وأول هجرة المسلمين إلى الحبشة الأولى والتي كانت في رجب سنة ٥ من النبوة[١] ، والثانية كذلك . وفيهما كان التقاء الإسلام بالنصرانية لأول مرة ، وفيها بدت أخوة الدين ظاهرة ، وإن شئت فقل بدت وحدة الدين حيث قال النجاشي : (إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة)[٢].

وجاء في زاد المعاد للإمام ابن القيم :

لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار ، اشتد أذاهم لهم وفتنتهم إياهم ، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة وقال : إن بها ملكاً لا يظلم الناس عنده فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة ، منهم عثمان بن عفان ؛ وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار فبلغهم أن قريشا أسلمت وكان هذا الخبر كذباً فرجعوا إلى مكة ، فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان ، رجع منهم من رجع ، ودخل جماعة فلقوا من قريش أذى شديداً ، وكان ممن دخل عبد الله بن مسعود ثم أذن لهم في الهجرة ثانياً إلى الحبشة ، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان فيهم عمار فإنه يشك فيه ، ومن النساء ثمان عشرة امرأة ، فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال ، فبلغ ذلك قريشاً فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة في جماعة ، ليكيدوهم عند النجاشي ، فرد الله كيدهم في نحورهم[٣] .

---

(١) انظر : الرحيق المختوم الشيخ صفي الرحمن المباركفوري دار الفكر ط الأولى ١٩٩١ صـ٨١.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر : زاد المعاد الإمام ابن القيم ط الثانية ١٩٩٧ جـ١ ص ٩٥،٩٦ .

وذكر في الجزء الثالث ما نصه : فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحمة النجاشي آمنين ، فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلدهم إلى النجاشي ، ليردهم عليهم ، فأبى ذلك عليهم ، وشفعوا إليه بعظماء بطارقته فلم يجبهم إلى ما طلبوا ، فوشوا إليه أن هؤلاء يقولون في عيسى قولاً عظيماً . يقولون : إنه عبد الله ، فاستدعى المهاجرين إلى مجلسه ، ومقدمهم جعفر بن أبي طالب فلما أرادوا الدخول عليه قال جعفر : يستأذن عليك حزب اللهف فقال للآذن : قل له يعيد استئذانه ، فأعاده عليه فلما دخلوا عليه قال : ما تقولون في عيسى ؟ فتلا عليه جعفر صدراً من سورة ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ فأخذ النجاشي عودا من الأرض فقال : ما زاد عيسى على هذا ولا هذا العود ، فتناخرت بطارقته عنده ، فقال : وإن نخرتم قال : اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي من سبكم غرم والسيوم الآمنون في لسانهم ، ثم قال للرسولين : لو أعطيتموني دبرا من ذهب ، يقول : جبلا من ذهب ما أسلمتهم إليكما ، ثم أمر فردت عليهما هداياهما ، ورجعا مقبوحين[1] .

أما لماذا اختار النبي ﷺ الحبشة ؟ فيرجع هذا لعدة أسباب منها :

صلاح النجاشي وعدله : حيث قال ﷺ لأصحابه : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد » ، وقال : « وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي ، لا يظلم أحد بأرضه » .

كون الأحباش يدينون بالنصرانية ، وهي أقرب إلى الإسلام من عبدة الأوثان والأصنام .

* * *

(١) انظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٢٨.